

# يوم النحر وأيام التشريق وذكر الله تعالى

... يوم العيد: الذي هو يوم الحج الأكبر، رمي الجمرة فيه فإنه عبادة، والحلق، أو التقصير فإنه أيضاً عبادة وقربة، وكذلك الذبح؛ ذبح من معه هدي، أو من عليه فدية. وكذلك الطواف والسعى الذي هو طواف الإفاضة وسعي الحج، كل هذه يسرها الله تعالى في ذلك اليوم؛ فكان عليهم أن يفرحوا بهذه الأيام، وأن يسروا بها، وأن يستبشروا بمرورها، يستبشروا بإدراكها؛ فيكون ذلك فضلاً كبيراً من الله تعالى على من وفقوا لهذا الخير كله، فهذا هو السبب في أن هذا اليوم، وهذه الأيام أعياد المسلمين. من حكمة الله تعالى أن أمرهم بأن يأكلوا فيها من هديهم، ومن أضاحيهم، ويوزعوا على المساكين؛ ولهذا قال تعالى: {لَيَسْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَيْهِ مَا رَزَقْهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ}؛ يعني على ما رزقهم، وعلى ما سخر لهم من بهيمة الأنعام {فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَنَ الْفَقِيرَ} فالهدي الذي يذبح في هذه الأيام، وكذلك الأضحى التي تذبح في البلاد - هي من جملة ما سخره الله، الله تعالى سخر هذه الأنعام، لو شاء لجعلها تهرب من الناس، كما تهرب الظباء والوعول، ولكن دللها وجعلها مذلة ومسخرة يملكونها الإنسان؛ فيركب ظهور الإبل، ويتناهى بها، وبأكل من لحومها، وبشرب من آبارها، وبأكل من لحومها، ويتناهى بشرورها ووبيرها وصوفها، وفيها منافع كثيرة: {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكِلُونَ} . ذكر الله تعالى عباده بذلك في قوله تعالى: {وَالْبُدُنْ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}؛ أي الإبل جعلناها لكم من شعائر الله؛ أي مما جعل شعيرة من شعائر الإسلام، شعائر الله تعالى: هي الأثر التي تكون عبادة له، كما في قوله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} وكما في قوله تعالى: {فَإِذَا أَفَصْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ قَادْكُرُوا اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}؛ فشعائره: هي العلامات التي يتقارب فيها إليه بالعبادات، فمن جملة ذلك هذا الهدي، وهذه البهائم؛ فإن ذبحها يعتبر شعيرة من شعائر الله سبحانه وتعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ} أطعموا القانع: المتعفف. والمعتر: المتسلول الذي يأتي ويطلب. أطعموهم مما أطعمكم الله وما سخره لكم. ولما كان كذلك جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الأيام أكل وشرب، ونهى عن صيامها؛ نهى عن صيام أيام التشريق الثلاثة: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وجعل الفطر فيها: لأجل الأكل مما أباحه الله، ولأجل إظهار الفرح بنعم الله - عز وجل - ثم إنه سبحانه أمرنا في هذه الأيام بكثرة ذكره، أمرنا بأن نذكره قال الله تعالى: {وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ} وهي هذه الأيام {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ}؛ يعني تعجل وخرج في اليوم الثاني عشر {فَلَا إِنْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ}؛ يعني إلى أيام؛ إلى الثالث عشر {فَلَا إِنْمَ عَلَيْهِ} أمرنا بأن نذكره في هذه الأيام. وكذلك أمرنا بذلك بعد الانتهاء من المناسب في قول الله - عز وجل - {فَإِذَا قَصَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرُكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَسَدَ ذِكْرًا} كان أهل الحالية إذا انتهوا من أعمال المناسب في أماكن فيها أسواق؛ يجتمعون فيها، ثم يذكرون آباءهم، ويدذكرون أسلافهم، ويفتخرون بأفعال أسلافهم؛ فأمر الله المسلمين أن يجعلوا بدل ذلك ذكر الله، أن يذكروا الله بدلاً ذكرهم لآبائهم وأجدادهم {أَوْ أَسَدَ ذِكْرًا}؛ يعني أو يذكروا الله تعالى ذكراً أكثر من ذكرهم لآبائهم؛ فلذلك تناوصي بأن نختتم أعمالنا بذكر الله - عز وجل -؛ فإنه دواء القلوب، يقول بعض الشعراء: بذكر الله ترتاح القلوب ودنيانا بذكره طيب فذكر الله يعتبر سلوة للمؤمنين، ويعتبر أنساً لهم، ويعتبر لذة لهم يتذذون به وبأنسون به؛ وذلك لأنهم يذكرون الله - عز وجل - الذي هو ربهم وحالهم ومدبرهم، يذكرونه بأسمائه الحسن، وبصفاته العلا، ويتذذرون فضلها عليهم، ويشكرونه على ما أولاهم من الخير وعلى ما أولاهم من النعم. وكذلك أيضاً يذكرونه في كل الحالات، كما مدح الله تعالى عباده بقوله: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيَّا وَقُوَّادًا وَعَلَى جُنُوِّهِمْ}؛ أي في كل حالاتهم، فهكذا علينا أن نكثر من ذكر الله في هذه الأيام، وكذلك فيما بعدها؛ فإن من ذكر ربه عظام قدر ربه في قلبه. إذا كبر الله اعتقد أنه الكبير المتعال، اعتقد أن له الكبرياء، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى: {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ وَلَهُ الْكِبْرَيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} له الكبرياء، ومن أسمائه العزيز العبار المتكبر. وكذلك أيضاً يذكرونه بأن يسبحوه ويحمدوه وينثوا عليه ويصلوا عليه، وذلك يعصّهم الله تعالى من المعاصي؛ فإن الذي يجري ذكر الله دائماً على لسانه يحفظه الله عن أن يعمر ذنبها، عن أن يفترف ذنبها أو يعمل معصية؛ بل يكون دائماً من الذين يذكرون ربهم في كل حالاتهم، وإذا ذكر الله تعالى تذكر أمره ونهيه؛ فيعطيه، يفعل ما أمره به من العبادات، ويترك ما نهاه عنه من المعاصي والمحرمات. وإذا ذكر الله تذكر أيضاً ثوابه وعقابه؛ فيطلب الثواب بفعل الأسباب، ويهرب من العقاب بترك الأسباب التي توجب العقاب، إذا ذكر ثواب الله تعالى في الدار الآخرة؛ الجنّة وما فيها من النعيم، وذكر عقاب الله الجحيم والعذاب الأليم - إذا ذكر ذلك فإنه يطلب الثواب ويفعل أسبابه، ويهرب من العذاب ويتترك أسبابه، فهذه آثار هذه العبادات، وهذا هو السبب في أن الله سبحانه وتعالى رغب عباده في أن يذكروه، وفي أن يشكروه، وفي أن يحمدوه وينثوا عليه هكذا.